بسم الله الرحمن الرحيم

قيم الجمال في الشّباب الجزائري كما تُمثّله لي الخواطر للبشير الإبراهيمي

أ.عثمان مبارك حداد.أستاذ مساعد ـ أ ـ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عنوان الإتصال athmanehaddad@gmail.com

الهاتف0776078018

عنوان النشاط: ا لقيم الجمالية للنص التربوي في الفكر الإسلامي " الغرب الإسلامي أنموذجا.

الجهة المنظمة: جامعة الأمير عبد القادر لعلوم الإسلامية/ كلية أصول الدين/

مخبر الدّراسات العقدية ومقارنة الأديان

المحور الثالث: القيم الجمالية للنص التربوي في الغرب الإسلامي

تاريخ النشاط:2024/11/05

مقدمة

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ،سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. ورضي الله تعالى عن البشير النذير، الذي كان خير هاد للشباب الجزائري في ليل الإستدمار الطويل.

أما بعد:

نعتذر أولا للشيخ البشير الإبراهيمي إذ اقتحمنا عليه خلوته، وحرّكنا سكونه. وعُذرُنا أننا في غاية الأدب معه. وأننا نبتغي أن نستفيد فصوصا من حكمته، وأن نقطف بعضا من ثمرات فكرته ، وأن نمتص قليلا من رحيق يراعه ، ونشمّ شذى من عطر أدبه ، ونتوشح بشيء مما نسجته بنات أفكاره .وهو جدير بألا يردنا خائبين.

غنيّ عن البيان أن الشيخ البشير الإبراهيمي كان أميرا للبيان العربي في زمانه. وأن الله تعالى قد ألان له عصيّ الكلم، كما ألان صلب الحديد لداوود عليه السلام. فكان إذا تكلّم تزاحمت الكلمات على لسانه ، وفرة وجزالة. فإذا هو شلّال من العبارات والأفكار يتدفّق ماؤه. إذا خطب أصغى السامعون له وأنصتوا، فأصخى آذانهم بجزيل قوله، كأنه نذير حرب يقول صبّحكم مسّكم. وارتووا من معين غديره ، وأُطربوا بأفانين تغريده، وخشعوا لصدق لهجته ، وحرارة مُهجته ، وسلّموا له القياد والأمر برمّته.

أما إذا كتب، فهو إما حارس قيّم أمين على أمّته، أو مرابط على ثغر من ثغور الإسلام ، أو محارب يخوض المعارك يُطاعن ما تراخى الناس عنه، ويضرب بالسيف إذا غُشي. لا يضع سلاحه أبدا.

كيف وهو القائل : ولي قلم آليت ألا أمده بفتل موار، أوبختل موارب

يسدده عقل رسا فوق ربوة من العمر روّاها معين التجارب

إذا ما اليراع الحر صرّ صريره نجا الباطل الهاري بمهجة هارب (1)

كان الشيخ الإبراهيمي يجمع الأدباء والعلماء إلى ندواته ومحاضراته في القاهرة، فيجذبهم إليه بعلمه وأدبه وقوة شخصيته ، مما يجعل اللقاء به كما يقول الشيخ الغزالي: مصدر متعة أدبية وعلمية، تجعل أدباء القاهرة وعلماءها يهرعون إليه، ويتزاحمون عليه.(2)

تعود صلتي بمقال **الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر** إلى مرحلة الدراسة الثانوية . إذ كان بعض من هذا المقال أحد مفردات المقرر الدراسي. ولم أزل أذكره وجزالته، وقيمته الفنية والموضوعية أبدا.

وقد أتاح لي هذا الملتقى فرصة لأجدّد العهد معه ، وهو درس تربوي من الطراز الرفيع، والتبر النفيس، باحثا في جزئية من جزئياته، ودرّة من عقده المرصّع باللآلئ والجواهر، ألا وهي المضامين الجمالية التي يكتنزها . وإلا فلو نطق لقال:

أنا البحر في أحشائه الدرّ كامن فهل سألوا البحر عن صدفاتي

فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني ومنكم وإن عزّ الدواء أُساتي

إن الإشكالية التي تناقشها هذه المداخلة هي ما إذا كان هذا النص يتوفر على قيم جمالية تسمو به أم لا؟ وهل هذه القيم الجمالية قابلة للتطبيق، أم أنها بعيدة عن الواقع المعيش؟ وما آثار هذه القيم في واقع الشباب الجزائري بالأمس، بل هل يمكن أن تكون صالحة في عالم الشباب اليوم لتصنع لنا النموذج المطلوب ؟

وقد حاولت هذه المداخلة أن تجيب عن هذه الأسئلة وغيرها ، ولو في رؤوس أقلام.

ويجدر التنبيه ،أن هذا المقال كتبه صاحبه في ظلّ ظروف صعبة ، كان الجزائريون يكابدونها، وأُفق مسدود، كان الشباب الجزائري مسجونا بين جدرانه ، التي أحكم الإستدمار إقفالها ، ليحول بينه وبين الحياة الكريمة ، التي تتوق لها نفس كل أبيّ ، وتتطلع إليها آمال كل شاب. وكان يمكن أن نعتبر ذلك من الإبراهيمي صرخة في واد، ونفخة في رماد ، وأن نقول له مع الآيسين :

لقد أسمعت لو ناديت حيّا ولكن لا حياة لمن تنادي

لكنه كان يدرك كأخيه من قبل، الشيخ عبد الحميد بن باديس، أن هذه الأمّة لم تمُت ، ولن تموت. لذلك صاح في شبابها :

يانشء أنت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب

خذ للحياة سلاحها وخض الخطوب ولا تهب

وما هي إلا سنوات قليلات حتى ثار الشعب الجزائري، وعماده الشباب ، وأعلنها ثورة تكللت بالاستقلال والحرية. وهكذا هم القادة والرادة ، لا يعرف اليأس طريقا إلى نفوسهم، ولا الوهن سبيلا إلى عزائمهم.

أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي كان يبشّر أصحابه بفتح المدائن، ويعدهم بتاج كسرى ، وهو في أضعف موقف، لأنه يعرف كيف يحوّل الضعف إلى قوة، والقلة إلى كثرة.

1 ـ وصف عام لمقال الشباب الجزائري

تميُز مقال الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر بميزات عديدة ، جعلت منه قطعة فنية نادرة ، ومنحوتة عزيزة، وكنزا معرفيا لا يُقدّر بثمن . لذلك أشاد به الدارسون ، وأقبل عليه الباحثون يتطارحونه في دراسات علمية وأكاديمية مختلفة. وكلٌّ يكرع على قدر ظمئه، ويمتلئ منه على حسب وسقه ، ويتزود على حسب بُعد سفره، ويتذخّر منه لعظم المهمّة التي يحملها، ويستهدي به للرسالة التي يؤديها. هذا إجمالا ، وباختصار يمكن رصد ذلك في النقاط الاتية:

1 ـ مقالة محكمة البناء ،لا يخالطها ضعف ، ولا يشوبها خلل. عميقة الأساس، قائمة على علم وحكمة، وناهضة على فلسفة وتجربة، ومستندة إلى بصيرة نافذة، ثم تقوى من الله ورضوان. طويلة العماد ، لأنها تروم المعالي، وتنشد النهضة ، وتتوخى استعادة أمجاد العروبة والإسلام. وترفض القعود، وتأبى الهوان، وتنفي الغُثاء، كما ينفي الكير خبث الحديد. ممتدة الأركان ، غير قاصرة على مكان دون آخر، ولا متوقفة عند حاضر . بل هي دواء لأدواء الأمة في مشرقها ومغربها. ووصفة ناجعة لبناء الحاضر واستشراف المستقبل.

2 ـ مقالة واقعية ، فهي تنطلق من واقع معيش بكل تناقضاته ، مستندة إلى رصيد حضاري ضخم مشبعة بالأفكار البنّاءة ، والقيم الجميلة ، والمعاني السامية، ما يجعلها قابلة للتحقق في عالم الواقع، وليس عالم الأفكار النظرية البعيدة عن الواقع، إذا جئنا لتجريبها وجدناها عقيما .

3 ـ هي أشبه بدستور صاغه حكيم، وتصوُّر وضعه بصير. أو وصفةٌ لنطاسي بارع، وصفها بعد فحص دقيق، ليعالج بها أدواء استفحلت، وعدوى انتشرت ،أوشكت أن تقضي على بدن العليل . تمثل هذه المقالة خلاصة منهج جمعية العلماء في التغيير التربوي والاجتماعي والسياسي . ومشروعها الحضاري ،الذي يستهدف إعادة صياغة الإنسان، وبعث الأمّة ، واستدراك الحضارة.

4 ـ درس تربوي بامتياز:هذه المقالة جديرة بأن تكون مادة للدراسة في أطوار التعليم المختلفة. ومنهجا لمؤسسات التكوين والإعداد. وقمنٌ بالمسؤولين عن الشباب، في مختلف الهيئات والمؤسسات، أن يقيموا لها نُصُبا ـ بعد أن يعتمدوها منهجا ـ أمام مؤسسات الشباب. من مثل وزارات التعليم والتكوين ، ووزارة الدفاع، وانتهاء بوزارة الشباب والرياضة. لتكون ملهما لهم لتمثُّل الأفكار التي تحملها، والمرامي التي تنشدها.

2 ـ خصائص مقال الشباب الجزائري

يتميز هذا المقال بخصائص زادته جمالا وقوّة، وجعلته بما فيه من حمولة فكرية ونفسية ، مقالا خالدا ، خلود ناحت كلماته ، ومدبّج عباراته، ومنضّد أفكاره. وهذه الخصائص في حدّ ذاتها هي قيم جمالية، تُرصّع تاج هذا المقال، وتُدبّج عارضه، وتُعطّر أعطافه، وتنفخ الروح في كلماته . قلّ أن تتوفّر تلك الميزات في غيره من النصوص ، ومن هذه الخصائص ما يأتي:

1 ـ دوام الصلوحية: فهو ـ وإن كُتب في ظروف خاصة، ولشباب الجزائر أصالة ـ فهو يصلح في كل الظروف المشابهة ، وما أشبه اليوم بالبارحة، وكأن الإستعمار لم يبرح مكانه، وليست الأمّة العربية والإسلامية اليوم بأحسن حالا ، مما كانته بالأمس. وما يحدث لأهلنا من إبادة في أرض الرباط ، وسط تكالب الأعداء، وصمت الأصدقاء ، وذهول الشعوب ، إلا دليل على أن الوضع لم يتغيّر كثيرا. وأنّنا بحاجة إلى مثل هذا المقال ، يشخّص داءنا، و يصف دواءنا .

لاشك أن النصوص الحية الباقية ،أكثر جمالا ، وأبعد أثرا من النصوص قصيرة الأجل، المؤقتة لأمد قصير. لذلك كان من ءايات إعجاز القرآن الكريم، أنه خالد باق، وأنه صالح مصلح لكل زمان ومكان.

2 ـ صدق العاطفة: كأن كاتبه أب حنون ، أو أمّ رؤوم، يعزّ عليه ما تعاني الأمّة، حريص على سلامتها أن تُمسّ ، ويغار على شرفها أن يُدنّس، بالعرب والمسلمين رؤوف رحيم. أو هو منذر جيش يقول صبّحكم ومسّاكم، يرسل صيحات التحذير من دون توان أو تأخير. ماأكثر المتباكين على حال الشباب اليوم ، ولكنهم عند النائبات قليل، لأنهم يفتقدون إلى صدق العاطفة. وليست الثكلى كالنائحة. فشتان شتان مابين الصدق والادعاء الكاذب. فالصدق قيمة جمالية، أعظم بها من قيمة.

3 ـ الأمل والتفاؤل: واليقين من التغيير نحو الأفضل. فرغم ما بين طيّات المقال من شدائد جمّة ، ومعاناة مُرّة ، إلا أن صاحبها يواريها بأمله الكبير، وتفاؤله بغد مشرق، تهون معه المشقّات، وتُنسي ثمارُه التضحيات. شعاره في ذلك ، ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل. ولقد ظن الاستعمار الفرنسي بعد مئة عام أن الجزائر انتهى أمرها، وأنها أصبحت فرنسية بالفعل، ولكن أصحاب مثل هذا الفكر، وهذه العزائم خيّبوا ظنّه. لأنهم يعلمون أن إيقاد شمعة خير من لعن الظلام.

إن الأمل والتفاؤل شرطان أساسيان لكل نهضة، وهما الخطوة الأولى في سبيل التغيير المنشود. ومن ثمّ فهما قيمة جمالية تجعلان الحزن سهلا. إن من يعيش على الأمل والتفاؤل، يعيش باذلا جهده، آخذا بالأسباب، منتظرا الوصول. بينما من يفقد الأمل يقعد عن العمل، وهيهات أن يصل. لأجل ذلك كان الأمل والتفاؤل قيمة جمالية، وجب أن تُغرس في نفوس النشء، وتُطبع في قلوب العاملين.

4 ـ الرسالية: فالبشير الإبراهيمي عالم رسالي، نذر شبيبته وكهولته ومشيبه لدينه ووطنه. فهوالقائل: **ما قيمة الشباب، وإن رقّت أنداؤه... وتناغت على أفنان الأيام والليالي أطيارُه، وطابت بين انتهاب اللذات، واقتطاف المسرات أصائله وأسحارُه. بل ما قيمة الكهولة وإن استمسك بنيانُها، واعتدل ميزانُها، ووُضعت على قواعد الحكمة والأناة أركانُها. بل ما قيمة المشيب، وإن جلّله الوقار بملاءته، وامتلأت من حكمة الدهور وغرائب العصور حقائبُه... ما قيمة ذلك كله إذا لم تُنفق دقائقه في تحصيل علم، ونصر حقيقة ، ونشر لغة، ونفع أمّة ، وخدمة وطن**.(3)

إن الرسالية قيمة جمالية تفتقر إليها النصوص التربوية، خاصة تلك الموجّهة للشباب في مختلف أطوار التعليم، وفي كل المنعطفات الحاسمة في مراحل التكوين والتوجيه. فالنصوص الرسالية جديرة أن تُحمّل الشباب المسؤولية تجاه ذاته ومجتمعه وأمته. بينما النصوص التربوية التي تفتقد إلى هذا البعد الجمالي، تفتقر إلى الحيوية والإيجابية.

5 ـ المحتوى الإصلاحي: لم يكن هذا المقال لإبراز قدرات الكاتب الأدبية، ولا لإظهار مهاراته البلاغية. بل كان الغرض منه ما تضمنّه من محتوى إصلاحي، يستهدف أخطر شريحة إجتماعية، الشباب الذين هم عماد الدين والوطن . لذلك لا يكاد يخلو سطر من سطوره، بل عبارة من عباراته من توجيه يُلقى، ونصيحة تُمنح ،ورأي يُقدّم ، وثمرة تُجنى ، حتى لكأنه عارض يخرج الودقُ من خلاله، يستبشر المستضعفون به، وإن كانوا من قبل ذلك لمُبلسين . وأفكاره الإصلاحية ترجع إلى ناحيتين خطيرتين، هي الإصلاح الديني الهادف إلى إرجاع المسلمين إلى صحيح دينهم. وألإصلاح الاجتماعي الرامي إلى تعزيز الإنتماء الحضاري، والقضاء على الآفات الاجتماعية الكثيرة والخطيرة في آن.

6 ـ الغنى بالقيم الجمالية: إذا كان مفهوم القيم الجمالية في أبسط تعاريفه هوتلك المفاهيم التي تميز بين ماهو جميل وما هو قبيح. وبين ماهونافع وماهو ضار ، سواء من الناحية المادية أو المعنوية. فإن هذا المقال غني بقيم الجمال، مُكتنز بها. بل إنه يشكل كتلة مُقدّسة من المعاني الجميلة، والأهداف السامية، وضعها خبير بطبائع النفوس والمجتمعات، بعد طول درس ومعاناة. يستهدف بها وضع دستور عملي

لإنقاذ شباب الجزائر من الوضع السيئ الذي يكابده. ورسم الخطوط العريضة لمحاولة جادة لاستئناف مسيرة التحرر والنهضة. وهو إذ يغرس هذه القيم ، ويضع هذه المعالم ،واحد بعد أخرى ، يُحذّر الشباب الجزائري من المنعرجات الخطيرة، التي تعترض سبيله . والإنحرافات القاتلة التي قد يستهويه إليها شياطين الإنس والجن، يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا.

7 ـ **الإقتباس والتضمين**: لأن الإبراهيمي رضع القرآن وهو صغير، وأُشرب حبّه وهو يافع ،ونشأ على مدارسته وهو شاب ، أصبح القرآن الكريم مرطّب لسانه ، ومُقوّم منطقه، وميزان عقله ،وحاكم أقواله وأفعاله ،لذلك تراه يُكثر الإقتباس منه، ولا يتردد في تضمين مقالاته معنى آية، حتى يأتي كلامُه قائما على أصوله في بنائه، واسع الدلالة في معانيه ، مؤصّلا تأصيلا شرعيا، لا تكدره دلاء الناقدين ، ولا تستطيعه. إن أثر القرآن الكريم في الأدب الإبراهيمي يمسّ الظواهر الفنية والمعنوية عنده، سواء جانب التعبير، أوجانب التصوير أو جانب التنغيم.(16) فهو يحفل بالقرآن الكريم بجوانبه كلها، ويغرف من منابعه جميعها ، ويتناغم مع مظاهر العظمة والإعجاز ، التي بلغ القرآن الكريم فيها طورا يسمو على المحاولة، ويتعالى على الإتيان بمثله.

فهو حين يقول **: أتمثّله عفّ السرائر عفّ الظواهر، لو عُرضت له الرذيلة في الماء ما شربه ، وآثر الموت ظمأ على أن يرد أكدارها ، ولو عُرضت له في الهواء ما استنشقه، وآثر أن يموت اختناقا على أن يتنسّم أقذارها**(17) إنما يضمنه معنى قوله تعالى: **(وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ)120الأنعام.** وقوله تعالى: **(وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ) الأنعام151** وغيرها من الآيات التي تُحرّم الفواحش المادية والمعنوية، وتنهى إتيان معاصي القلوب والجوارح على السواء.

وهو عندما يتمثل الشباب الجزائري **شديد الغيرة ، حديد الطيرة، يغار لبنت جنسه أن تبور، وهو يملك القدرة على إحصانها... ويغار على هواه وعواطفة أن تستأثر بها السلع الجليبة، والسُّحُن السليبة**(18).فكأنه يومئ إلى قوله تعالى(**وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)البقرة 221**

وهو كما يُضمّن النص الآية القرآنية ، فهو يُكثر من تضمين الحديث النبوي الشريف، فباعه في الحديث لا يقلّ عن نصيبه من القرآن الكريم. فبقوله **أتمثله محمدي الشمائل ، غير صخّاب ولا عيّاب، ولا مغتاب ولا سبّاب،عفّا عن محارم الخلق ومحارم الخالق**(19) فهو يشير إلى الحديث الشريف ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سبابا ولا فحاشا ولا لعانا كان يقول لأحدنا عند المعتبة: ما له ترب جبينه.» أخرجه البخاري. كما يشير إلى حديث عبد الله بن عمروبن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(**المُسْلِمُ مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ، والمُهاجِرُ مَن هَجَرَ ما نَهَى اللَّهُ عنْه) رواه البخاري.**

ولولا مخافة الإطالة لاستزدت من الاستشهاد. وهو إذ يغرف من معين القرآن والحديث ، فله طريقتان ، إما أن يأتي بهما باللفظ تامّا، وإما أن يأتي بالمعنى، ويقتصر على بعض الألفاظ ، مثل الكلمة والكلمتين. وهذه الطريقة الثانية هي المتبعة في هذا المقال. والظاهرأن البشير الإبراهيمي إذ يفعل ذلك لا يقصده في الغالب، وإنما يجري على لسانه طبيعة. لأنه متشبّع بالقرآن والحديث ، لفظا ومعنى. لذلك تسبق ألفاظها عند الكتابة غيرها من الكلمات. لأنه معروف في علم النفس والتربية أن الكلام الذي يستخدمه الإنسان عادة يظهر في تعبيره، وخاصة في الغضب ، وفلتات اللسان، لذلك قيل المرء مخبوء تحت لسانه. لذلك

لا يشعر قارؤه بالفصل بين كلامه وكلام الله تعالى ، أو حديث النبي صلى الله عليه وسلم . كل كتابات الإبراهيمي تمتازببراع الإقتباس ، وسلاسة الإنتقال.(20)

هناك مصدر ثالث يُكثر الإبراهيمي من الإقتباس منه، أو يضمّنه كلامه ، وهو الشعر العربي، والتاريخ والتراث العربيين. أما الشعر ففوق أنه حفّاظة جيد للشعر، فهو شاعر فحل ، يتقن صناعة الشعر وقوله. وأما التراث والتاريخ فقد أوتي منهما حظا كبيرا. ينقّب في مواطن التراث كأنه بحّاثة، ويستعرض أحداث التاريخ كأنه وقائع أمامه مشهودة ، يدرسها ويأخذ منها العبرة، ويستخلص الدرس، اقتداء بشيخيه ابن خلدون وابن الأزرق.
فمن الشعر استشهاده بهذا البيت الجميل مخبرا ومظهرا

أحبّ الفتى ينفي الفواحش سمعُه كأن به عن كل فاحشة وقرا

وما زاد هذا البيت جمالا ،هو تطابقه مع الآيات والأحاديث التي أوردناها أعلاه ، فتعاضد الشرع والشعر للتنفير من كل ما يقبح من الكلام ، حتى لكأن سمع الشباب لا يستقبله أصلا، محفوظ منه بحفظ الأدب.

وكذلك استشهاده في نفس السياق بقول المتنبي

أهوى من الفتيان كل سميذع أريب كصدر السمهري المُقوّم
خطت تحته العيسُ الفلاة وخالطت به الخيلُ كبات الخميس العرمرم

وأما توظيف وقائع التاريخ وأحداثه ، فهو كثير عنده، وكيف لا يفعل وهو يرى أكثر موضوعات القرآن قصص للعبرة، وأحداث تاريخية لاستلهام الدروس ، واستبناط النواميس الحاكمة للاجتماع البشري. وكذلك عنايته بأخبار العرب وعاداتهم وتقاليدهم ، وكيفية تنشئة الولدان عندهم على الفحولة والأخلاق .ويحسن أن نورد هنا هذا النص .**أتمثّله مُجتلى للخلال العربية التي هي بواكير ثمار الفطرة، في سلاستها وسلامتها. كأنّما هو منحدر لانصبابها، وقرارة لانسكابها، وكأنّما خِيط على وفاء السموأل وحاجب، وأُ شرج على إيثار كعب وحاتم، وخُتم على حفاظ جساس والحارث، وأُغلق على عزة عوف**(21).

فهو يرى أن الأخلاق العربية القديمة ـ في مجملها ـ نبل وشهامة ورجولة ، وغيرها من المحاسن التي يجدر بالشباب المعاصر أن يتمثّلها، بل أن يكون وعاء لها، ففيها الخير كلُّه. وأنها أجدرُ بالاقتباس من أخلاق الحضارة المعاصرة، التي غلب شرُّها خيرها، وتفوّقت حيوانيتها على إنسيتها .دع عنك البهرج الكاذب والتزويق الخادع ، فقد كشفت حرب غزة الأخيرة زيف ادعاء سموّ ، وإنسانية الحضارة الغربية. وفي نصّ آخر يقول: **أتمثله كالغصن المروح، مطلولا بأنداء العروبة، مُخضوضر اللحا والورق مما امتصّ منها، أخضر الجلدة والآثار مما رشح له من أنسابها وأحسابها...فيه مشابه من عدنان تقول إنه من سِرّ هاشم ، أو سُرّة مخزوم، ومخايل من قحطان ، تقول كأنه ذو سكن في السكن، أو ذو رضاعة في قضاعة، متقلبا في المنجبين والمنجبات**(22). يخبرك أنه خبير في أنساب العرب، عالم بطبائع وأخلاق كل قبيلة، محترما للتقاليد والثقافة العربية، معليا من شأنها ، رافعا لمقامها .وفي ذلك دحض لافتراءات المستشرقين والمؤرخين الغربيين الخادمين للأهداف الإستعمارية، الذين لا يرون في العرب إلا صحراء قاحلة، وإبل مُسنّمة.

ولولا ضيق المجال لزدنا هذه الخاصية بيانا واستشهادا ، لعناية الإبراهيمي بها ، وللقيمة الجمالية التي تضفيها على النص. وهنا نسجل نتيجتين:

أولاهما أن الإبراهيمي لا يرى تنافرا بين العروبة والإسلام، وبين التراث العربي والقرآن، لأن عروبته ليست عروبة ميشال عفلق، ولكنها عروبة المبعوث بالفلق. وأن الإبراهيمي بهذا الصنيع مثله كمثل من

يُجهّز لحرب شاملة، ولذلك فهو ينوّع أسلحته ، ولا يقتصر على نوع دون آخر، وينسّق بينها ، حتى لا يكون كثرةُ السلاح وتنوُّعه حملا يُرهق الكواهل والسواعد.

والنتيجة الأخرى، أن هذا التركيب السحري، بين هذه المكونات جعلت النص غنيا ثريا، فيه من الأدب والدين والتراث والسياسة وعلم الاجتماع، وغيرها من المعارف التي يحتاج إليها الشباب الجزائري ، وهو يُعدّ نفسه لتحمل المسؤولية، وتحمّل الأمانة.

3 ـ غاية المقال ومقاصده

إنّ هذا المقال كُتب بعد تشخيص دقيق لحال الأمة، وفي المقدمة منها الشباب .وبعد تقليب النظر في سياسات الإستعمار الفرنسي، وما يُكافئها من سياسات الشخصيات والهيئات الجزائرية. فكان بذلك بمثابة مشروع وطني لإحياء الأمة، من خلال استنهاض قوتها الدافعة والرافعة. لذلك يمكن إجمال تلك المقاصد في الآتي:

1 ـ رفع الهمّة: ورفع المعنويات، واستنهاض الشباب ، ومحاربة الخمول والاتكالية، التي ما فتئ المستعمر يبثّها في نفوس الجزائريين. وهذه الغاية الأولى هي شرط أساس لإحداث أي تغيير منشود ، سواء على مستوى الفرد أو المجتمع. فهو يريد من الشباب أن يكون **مُجتمع الأشدّ على طراوة العود، بعيد المستمرّ على ميعة الشباب**(4). ويتمثله **كالدينار يروق منظرا، وكالسيف يروع مخبرا، وكالرمح أصدقُ ما يوصف به أن يقال ذابلٌ، ولكن ذاك ذبول الاهتزاز ، وهذا ذبول الاعتزاز**.(5)

ما بين الإجتهاد والخمول، والنهضة والتخلف، الهمّةُ العالية، والمعنويات المرتفعة. لذلك كانت تعاليم الإسلام آمرة بها، حاضّة عليها. والمتمثل بها على جانب كبير من الجمال المعنوي، بينما الخالي منها، على قدر من السوء غير قليل.

2 ـ تصحيح الأفكار: ما أصعب إخراج الناس عن المألوف، ولو كان ذلك المألوف عبادة البقر والحجر. وما أعسر تغيير الذهنيات والسلوكيات ، خاصة إذا تواطأ الناس عليها، وشبّوا عليها، لذلك كان الأنبياء عليهم السلام يُعادون لأجل ذلك. والمصلحون الكبار يعرفون هذا الطريق ولكنهم يُصّرون على سلوكه، ويصابرون لأداء رسالة التصحيح والإقناع. وقد لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، لا يبرح هذا الهدف. وظل القرآن المكي يتنزل لهذا الغرض ثلاث عشرة سنة ، حتى إذا نزل الحلال والحرام بعد ذلك قالوا انتهينا ربنا انتهينا.

وقد كان الاستعمار وأجنحة المكر معه تبثّ سمومها الفكرية والعقدية دهرا مديدا، ولكن ما جمعته يد الله لم تستطع يد الشيطان أن تفرقه، خابوا جميعا وخسئوا وخسروا. وهاهي كلمة التوحيد تصدح مجلجلة من مآذن جامع الجزائر مؤذنة بخراب الفكر الاستعماري التنصيري.

إن المربين ومتعهّدي الشباب إما مصحّحو أفكار، مقوّمو أخلاق. وإما مدلّسون مفسدون. والأولون أولياء الرحمن، والأخرون أولياء الشيطان. فما أجمل ما يقوم به الولي، وما أقبح ما ياتيه الدّعي.

3 ـ بناء الفرد الصالح: وذلك يتطلب تخلية وتحلية، وغرس فسائل القيم الدينية، والشتائل الوطنية، وصولا إلى إنشاء جيل صالح رسالي كأسلافه، وصناعة النموذج القدوة. وهو يعدّ ذلك من أو جب الواجبات ، وأوكد المؤكدات.يقول رحمه الله : **للجيل الآتي علينا حقوق مؤكّدة ، لا تبرأ ذمتنا منها عند**

الله، ولا تسقط شهادة التاريخ بها علينا ، إلا إذا أدّيناها لهم كاملة غير مبخوسة، وملاك هذه الحقوق أن نُعدّهم للحياة على غير الطريقة التي أعدنا بها آباؤنا للحياة(6).

إن بناء الفرد الصالح هو عماد كل نهضة، أدبية أو مادية. لذلك كان الإستعمار ولا زال ـ ومعه الأذناب ـ يعمدون رأسا إلى إفساد الشباب، وإخراجه عن طوره ، أو على الأقل إلهاؤه عن رسالته في الحياة. فالمدرسة الإستعمارية **تهيء تلامذتها أو مريديها للشر، وتُروّضهم عليه...فإذا جاء دور التفصيل لم يعجزها أن تُلبس الفاتك منهم لباس الناسك، وتقلد الراعي وظيفة الداعي، وتسم الخليّ بسمة الولي ، وتُحرّك لسان الماكر بورد الذاكر ، وتُؤزّر أولاد الحرام بإزار الإحرام، وتخلع على الصعلوك ألقاب الملوك.**(7)

لذلك كانت عنايته بالشباب كبيرة ومتواصلة، في أطواره المختلفة، خاصة في شبيبته بوصفها المرحلة الحرجة في عمر الإنسان من جهة، والمرحلة الأساسية للبناء الفكري والعاطفي لإنتاج إنسان الحضارة، الذي تحتاجه الأمّة الجزائرية لتحمّل مسؤلية التحري، استعدادا لخوض معركة البناء والتعمير.إن صلاح الفرد هو الذي يؤهّله للقيام بالفرائض الاجتماعية ، والمشاركة في العمل العام. الذي تعود ثمراته على الجماعة.(8)

4 ـ إحياء مجد الأمة والإعتزار به: إن العروبة في فكر علماء الإصلاح، هي بيئة الإسلام الأولى التي نشأ في تربتها، وارتوى من خصالها، التي بُعث النبي صلى الله عليه وسلم ليتمّمها. ولذلك فلا تنافر بين العروبة والإسلام. بل هناك تكامل، وكل واحد منهما محتاج للآخر. لذلك ركّز الشيخ البشير الإبراهيمي على إحياء تراث الأمّة ومجدها التليد، خاصة وهو يرى السياسة الإستعمارية تعمل بكل الوسائل، مستعينة بجيش من المستشرقين على إهالة التراب على تراثنا الضخم. لذلك كان أوّلُ ما امتدت إليه يدها الآثمة بالسلب والتحريف تراث الجزائريين وأوقافهم.

وكان التعليم الحر واحدا من الروافد التي استغلها الإبراهيمي لتعزيز هذا الإنتماء ، وتكوين جيل متمسّك بمبادئه وقيمه ، الإسلامية السمحاء، والإعتزاز بهويته ولغته ووطنه(9).وقد حاولت جلّ الدول العربية المستقلة حديثا أن تخوض تجربة النهضة بعيدا عن إنّيتها، بسياسات مخالفة لأصالتها ، فلم تجن من ذلك إلا مزيدا من التخلف. لذلك لابد من الرجوع إلى بيئتنا وماضينا وتراثنا، ومقومات جنسيتنا وقوميتنا.10

4ـ المضامين الجمالية لمقال الشباب الجزائري

إن مقال الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر، مليئ بقيم الجمال، مكتنز بها اكتنازا. بل إنها تتزاحم بين ثنايا سطوره ازدحاما، لكننا لضيق المجال سنقف عند بعضها دون كلها. مبرزين أهميتها ودورها في صناعة الأجيال.

1 ـ الهمّة العالية: يعلم الإبراهيمي أن الظروف القاسية التي عاشها الشباب، والمحن التي كابدها ، قد أثّرت فيه ، ونالت من عزيمته ، وألانت قناته، وقصّرت من طموحه، لأنه لم يرى من المستعمر إلا ما يُقذي العين ، ويصُخّ الآذان، ويُدمي القدمين، ويعتصر القلب، ويُفسد العريكة. لذلك فهو يحتاج أولا إلى رفع الهمّة ، وشحذ المعنويات ، ليعود الإيمان إلى القلب، والأمل إلى الروح ، والحركة إلى الجوارح. وهذا هو المدخل الطبيعي للنفس ، والجرعة الأولى للتغيير. إننا عندما نتلمس طريقة محمد البشير الإبراهيمي في إصلاح الشباب الجزائري نجدها قائمة على الأمل الواعد في غدٍ أفضل، من خلال فهم الحاضر فهما صحيحا، بعيدا عن الخرافات، والدجل، والتدليس، والغزو الفكري الإستعماري.

إنها طريقة قائمة على استثمار حاضر الشباب، وتحيين ظروفه المختلفة في سبيل تحقيق صحوة شبابية مندفعة تجاه النصر والتمكين.(23) والشيخ الإبراهيمي بتكوينه العالي ، وثقافته الواسعة، وخبرته الكبيرة ، قادر على أن يحرّك الكوامن، ويفتح الافاق. لذلك نجده يركز على هذه القيمة النفسية والفكرية ، ويشدّد عليها ، وينوّع من الألفاظ والأساليب، حتى يكون لكلامه وقع، ولندائه استجابة. يقول رحمه الله: **أتمثله متساميا إلى المعالي، عربيد الشباب في طلبها، طاغيا عن القيود العائقة دونها، جامحا عن الأعنّة الكابحة في ميدانها، مُتّقد العزمات، تكاد تحتدم جوانبه من ذكاء القلب، وشهامة الفؤاد، ونشاط الجوارح.**(24) إنه ببساطة يدعو إلى التمرد والثورة، لكنها ثورة أولا على النفس، والأوضاع التي ألفها، ليتمكن بعد ذلك من الثورة على الأوضاع التي فرضها الإستعمار، ورسّمتها سياساته الجائرة. لأن الذي يعجز أن ينتصر على نفسه، لا يستطيع أن يحقق أي انتصار في الميادين الأخرى .
نحتاج أن نقف عند كل كلمة من كلمات هذا المقطع القصير، لأنها حُبلى بالمعاني الفكرية، والقيم الجمالية، واللمسات النفسية المُؤثرة، فضلا عن الدلالات اللغوية. فقوله متساميا يدلّ بظاهره على الرفعة، وطلب المعالي. ثمّ صيغة متفاعلا توحي إليك بمواصلة التسامي، كلما وصل إلى قمّة من السموّ، تاقت نفسه للتي هي أعلى، وهكذا يظل متساميا حتى يصير يعاف الركون، أو يرضى بالدّون. فانظر إلى هذا اللفظ الواحد كم فيه من معنى، وكم فيه من قيمة جمالية تجعل المتلقي يستجيب دون تأخير. وأما قوله عربيد، فتشبيه للشباب بمن لا يبالى بشيء في سبيل تحقيق مُبتغاه، ونيل وطره .

وإذا كان العربيد يُطلق على السكران سيّء الأخلاق الذي يؤذي الناس، فإنه يُطلق على الشديد في كل شيء، وهذا الذي يقصده. وإذا كان شديد الإنفعال مذموما فإن شديد الفعال ممدوح. والمؤمن القويٌ خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف. وقوله طاغيا تحمل المعنى السابق نفسه وزيادة، لأن الطغيان معناه الإمتلاء إلى حدّ الفيضان، وطغى الماء صار فيضانا جارفا، وطغى بمعنى ثار وهاج .وكذلك الشباب الجزائري لا يتمثله الإبراهيمي إلا سيلا متدفقا من العمل الجادّ ، والنشاط الدؤوب، هائجا غير خوّار، ثائرا غير قاعد، لأنه إن قعد عن الجهاد إلى غد ، فلقد يجيئ غد وهو قعيد.

يتمثله جامحا عن الأعنّة ، مُشتطّ الحماس ، غير سلس الإنقياد، لا يكبحه كابح، ولا يردعه رادع، حتى ينال كريم المأكل ، مما تنبته يده من أرض بلاده الحُرّة المستلقة. يتمثّله متّقد العزمات ، سريع التصور والإدراك، مبادرا إلى الفعل دون تأخير، لا يُستغفل ، ولا يُستبله. ولن تكون هذه الخصال النفسية ، والإنفعالات الوجدانية ، والأعمال الإيجابية ، إلا إذا كان ينطوي على قلب شديد الذكاء، وفؤاد شهم. وهي الخصائص النفسية والأدبية التي تجعل المرء يرفض الهوان، ويأبى الدنيّة ، تمثُّلا بقول الشاعر:
ولي نفس تتوق إلى المعالي ستتلف أو أبلّغُها مُناها

إنّ علوّ الهمة قيمة جمالية ، وخلق رفيع. وتقصُّد النصوص التربوية استنبات هذه القيمة الجمالية في نفوس الشباب، يجعل عزمهم أمضى، وفكرهم أقوى، وعملهم أهدى، ونفوسهم أزكى ،وصورتهم أجمل، وشتان بين عالي الهمّة وفاقدها.
ولا شك أن ما يعيشه العرب اليوم من هوان وذلّة إنما سببه هدرهم لكرامة أنفسهم، وانطفاء جذوة الرجولة بين جوانحهم، وافتقادهم لفضائل المروءة العربية.

إن الهمّة العالية ليست زيّا ، ولا شعارا، وليست أقوالا. ولكنها أفعال وإنجازات. ثم هي بعد ذلك قيمة جمالية تجعل الشباب شبابا ، وتزيدهم بهاء.

2 ـ العلم والمعرفة: إذا كان علوّ الهمّة هو العماد الأول لبناء الشباب، وجعله فاعلا ومؤثّرا ، فإن طلب العلم والمعرفة هو العماد الثاني، الذي يبني بيوت المجد، لتكون أعزّ وأطول. والبشير الإبراهيمي رجلُ علم غزير، ومعرفة واسعة، ولذلك فهو عليم خبير. قضى زهرة شبابه في التعليم، وتولّى إدارة جمعية العلماء المسلمين القائمة أساسا على الدعوة والتعليم. فحين يدعو الشباب إلى طلب العلم ، فهو يدرك

أهمية ذلك وقيمته ، كيف لا وهو أول فرض رسالي على المسلمين. يتمثّل الإبراهيمي الشباب الجزائري **مُقبلا على العلم والمعرفة، ليعمل الخير والنفع، إقبال النحل على الأزهار والثمار، لتصنع الشهد والشمع**(25).

وكلمة أقبل ككلمة طلب ، كلاهما يفيد السعي والإجتهاد لنيل المقصود. فمن لم يبذل جهده لم ينل مراده.
وما نيل المطالب بالتمني ولكن تُؤخذ الدنيا غلابا
لذلك شبّهه في سعيه واجتهاده بالنحل ، وهي مقبلة ، زرافات ووحدانا على الحقول ، لتمتصّ منه أجود رحيق، فتنتج أشهى شراب.

وتشبيهه بالنحل فيه كثير من الصورالبيانية ،والحقائق العلمية، والقيم الجمالية. إنّ الشباب الجزائري عليه أن يتمثّل النحل في حياته ، وأن يقتدي بها في أعماله. فإذا كان هو ضعيفا بما سلّط عليه الإستعمار من عوامل الهدم والتعرية، المادية والأدبية، فإن النحلة أضعف منه، ولكنها بهمتها العالية ،وبطلبها الدؤوب، وبحاسّتها الحادّة تتحسّس رحيق الأزهار من بعيد ، فتطير إليها بجناحيها الشفافين، تغدو خماصا ، وتروح بطانا ، لتباشر عملية الصناعة التحويلية. تُنتج أولا المواد والأدوات اللوجيستية، مُمثّلة في الشهد، حتى لا يفسد إنتاجها، ويتلف قوتُها. ثم بعد ذلك تباشر إنتاج العسل المصفّى. كذلك يجب أن يكون الشباب الجزائري ، يفتّش عن العلم النافع أنّى وجده، فهو أولى به، لأن دينه يفرضه عليه فرضا. ثمّ يُقبل عليه بنهم، إقبال الأكلة على قصعتها، فيحصّل منه ما شاء الله أن يحصّل ، كل حسب طاقته، وقدر جهده، والله يضاعف لمن يشاء. وإذا كان الخوف من الفشل هو أخطر ما يواجه الشباب، فإن النحل تعلمنا أن النجاح لا يكون دائما ،وأن الفشل ليس قدرا. وأنها لا تبالي إن عادت مرة مُنجحة وأخرى خائبة ، لأنه كما يقول المثل االشعبي ، الفلاحة دوام والصابة عوام، وما على الفلاح إلا أن يستعين بالله ولا يعجز.
إنه وهو يُرغّب في طلب العلم يحاكي المنهج القرآني والنبوي ،القائم على التصوير والتجسيم. تصوير الأعمال المُراد الترغيب في إنجازها، وتشخيص الحسنات الموعود بها. فهي مرة نخلة، وأخرى خلفة، وتارة نهر، وهكذاعلى حسب البيئة التي نزل فيها القرآن، وعاش فيها النبي صلى الله عليه وسلم. وما تفصح عنه الصور البيانية من معانٍ وقيم جمالية تُحضِّر خيال المتلقي لتحليلها ومعرفة معانيها.(26) ومن ثمّ الإنبعاث نحوها لتحقيقها، والإستفادة من ثمرتها. وهكذا هو دائما يجمع بين جمال الشكل وجمال المضمون.

ما أجمل أن يتناغم كلام الإبراهيمي مع كلام الله تعالى القائل في محكم التنزيل: **(وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون (68) ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون (69) النحل** . فالعلم عسل في شكله وانسيابه وطعمه وفائدته. وطالب العلم نحلة طوّافة على مصادر العلم والمعرفة، لينتفع وينفع.

وأخيرا، فالعلم وإن كان قيمة معرفية، فهو مع ذلك قيمة جمالية، فالمتعلّم رفيع العماد، قويّ الحجاج، حادّ النظر، سديد التصويب، مُنزّه عن شوائب الدجل والخرافة. جعل العلم إمامه المُتّبع، وهاديه إلى الحق والصواب. وفوق ذلك كله يضفي عليه علمُه جمالا ومهابة في المجالس والمحافل، يُكرمه حيث أتى.

3 - العمل: وهو المطلب التالي للعلم، ولا فائدة من علم بلا عمل ، فهو أشبه بسيف بلا مقبض، وما خير نصل لم يُؤيّد بقائم. بل قد يكون وبالا عليه. لذلك كان السؤال عنه يوم القيامة حتما مقضيا. وقد تمثّل الشيخ البشير الإبراهيمي الشباب الجزائري **حلف عمل لا حليف بطالة، وحلس عمل لا حلس مقهى، وبطل أعمال لا ماضغ أقوال، ومرتاد حقيقة لا رائد خيال.** (27) والحلف هو الذي يلازم الشيء ولا يفارقه، فكذلك الشباب الجزائري لا يفارق العمل، لأن النفوس جُبلت على العمل لا على التبطل، فإذا لم تُشغل بحق شُغلت بباطل. ومن معاني الحلف أيضا ما يكون من اتفاق بين اثنين أو أكثر على ملازمة

بعضهم بغية التعاون والتآزر. وهي الأحلاف والعقود التي كانت ولا زالت تُبرمها القبائل والدول لتقوية الكيانات ، وحماية البيضة، وردّ الصائل.

يتمثّل الشيخ الإبراهيمي الشباب الجزائري وقد عقد حلفا مع العمل، فهو في حركة دائبة، وإنتاج مستمر. وهو يربأ به أن يكون بطّالا ، رضي من نفسه أن تكون جليسة بطالين، أو حلسا في مقهى، أغلب مرتاديه من لا عمل له. والحلس هو سقط المتاع يوضع تحث الأثاث الأثير، لأنه لا قيمة له ، ولا اعتبار. والعاقل يأبى لنفسه أن تُهان، ولكرامته أن تُداس ، كما يُداس الحصير. لكن في مقابل ذلك فإن الكيّس لا يبالي بما أصابه من تعب ونصب جرّاء العمل والإنتاج ، لأن من بات كالاّ من عمل يده بات مغفورا. لأن العمل فريضة كالعلم، وهو جهاد من الجهاد.(**وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ) المزمل. 20**

لأجل ذلك كان العمل قيمة جمالية، لا تقل عن جمالية قيمة العلم . بل إن ترك العمل يعود على العلم بالسلب فيفقده قيمته وجماليته. إن البطولة الحقّة هي بمقدار ما يؤدي المرء من عمل ، وما ينتج من فائض القيمة. وإذا كان الشباب وقود الأمم، والأساس الذي تُبنى عليه حضاراتها . فإن العمل هو الشعار الذي يجب أن يميز مسيرته، (28). وإذا كان كثير من الشباب قد تأخذهم الأماني بعيدا، وربما قعدت بهم عن العمل ، طلبا لتلك الأحلام ، وترقبا لها ، فقد ميّز الإبراهيمي بين مرتاد الحقيقة ورائد الأحلام .

أما الأول فهو الذي يُكثر من التردد على الشيء، ولا يتخلى عنه، ويتمسك به ، وهي هنا الحقيقة.

أما الآخر فهو المُحلّق في آفاق الأماني، والتّشهيات. كما هو حال كثير من الناس اليوم، وخاصة مع العالم الإفتراضي.

4 ـ صلابة الفكر وصحة العقد: إن رسالة البشير الإبراهيمي، ومن ورائه جمعية العلماء المسلمين هي الإصلاح الديني و الاجتماعي بالدرجة الأولى. لذلك فهو يرى ضرورة أن يكون فكر الشباب الجزائري صلبا متينا ، قائما على البراهين والقواطع من البينات، حتى يستطيع أن يواجه معترك الحياة بكل اقتدار، وأن يتصدى لكل فكر دخيل، ليعصم نفسه من كل قاصمة فكرية . وأن يكون مع ذلك صحيح العقيدة ، قوي الإيمان ، متين الصلة بالله. لأن الفكر وحده لا يكفي، ولا يعصم ، ما لم يعضده إيمان وتقوى. وإذا كانت صلابة الفكرفي حدّ ذاتها قيمة معرفية وجمالية، وصحة المعتقد قيمة في ذاتها ، فإن اجتماع هذين القيمتين معا، يزيدهما متانة وجمالا. لذلك فهو يتمثل الشباب الجزائري **لم يمسسه زيغ العقيدة، ولا غشيت عقله سحب الخرافات، بل وجد المنهج واضحا فمشى على سوائه، والأعلام منصوبة فسار على هداها.**(29)

ليس المنهج سوى القرآن الكريم، {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} الإسراء 09.وليست الأعلام المنصوبة إلا أئمّة الهدى، المبلغون عن الله تعالى. لقد شهد القرن التاسع عشر والقرن العشرون ذيوع كثير من الأفكار الزائغة، والعقائد المنحرفة. وساعدت الطباعة على سرعة انتشارها. وساهم الإستعمار في تيسير وصولها للعقول، إمعانا منه في التضليل والتجهيل. لأنه لمّا أعيته الآلة العسكرية ، عمد إلى الحيل الشيطانية. إذ لم تكتف فرنسا بإحضار العسكري للقمع الجسدي والإكراه البدني، ولكنها جاءت أيضا بالراهب الإستعماري لتفسد على الجزائريين عقيدتهم، وينقلهم من صفاء التوحيد إلى كدر التثليث. كما استعانت أيضا بالمعلم الفرنسي ليفسد على الناشئة عقولهم ، وأفكارهم ، ويُعجم ألسنتهم. لذلك فالإبراهيمي يرجو من الشباب أن يرد الحياض الصافية، والمناهل العذبة ، ليغذي فكره، ويزكي نفسه. ويهذّب روحه ،ويُسدّد خطاه ليأمن العثار. لقد عمل الرجل انطلاقا من منهج إصلاحي شامل...مبني على أسس حضارية مستوحاة من الإسلام كعقيدة ومنهج حياة(30). فما أجمل أن يتحلّى الشباب الجزائري بهاتين القيمتين الجميلتين، وما أسعد الأمّة بهم حينها .

5 ـ الأخلاق: الأخلاق جوهر الدين، وتاج العلم. فالدين من غير أخلاق عدم، والرسول الكريم إنّما بُعث ليتمم مكارم الأخلاق. والعلم لا ينفع وحده مالم تكن معه أخلاق تُزكّيه وتُعليه. ولقد كانت تربية النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين قائمة على التعليم والتزكية.(**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) الجمعة2** .
بل الحضارة الإنسانية كلها متأسّسة على الأخلاق ، وهي تبقى ما بقيت أخلاق أهلها ، فإذا ذهبت أخلاقهم زالت ولو بعد حين. ولأننا طُلاب نهضة ينبغي أن نركّز في أذهان شبابنا **أنّ النهضات الصادقة تبدأ من الأخلاق وتنتهي إلى الأخلاق ،وما زادت بحوث الفلسفة في الأخلاق ماضيها وحاضرها شيئا على ما جاء به الإسلام وأقرّته الفطرة السليمة** (31) لذلك جعل الإبراهيمي إصلاح أخلاق الشباب عماد الفتوّة، وأساس الرجولة، وعنوان التدين .

فهو يتمثّله **محمّدي الشمائل ،غير صخّاب ولا عيّاب...لا تنطوي أحناؤه على بُغض ولا ضغينة...متقلبا في الطاهرين والطاهرات**..(32).سواء في ذلك الأخلاق مع الله ، والأخلاق مع الناس، من دون مراعاة فروق الجنس واللون، والغنى والفقر. ولقد كشف الإستعمار القديم والحديث، بأشكاله المختلفة، زيف ادعائه التحضر، بسلوكه المنافي للأخلاق ، إلا أخلاق التوحش المُباينة للمدنية. إن الأخلاق قوة معنوية، فوق أنها قيمة جمالية. فصاحب الخُلق جميل ، ولو كان دميما. ومن لا خلاق له قبيح، ولو جمّل صورته بما شاء. إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى...انقلب عريانا ولو كان كاسيا

6 ـ الأصالة وقوة الإنتماء: الإنسان كالشجرة، إما أن تكون عميقة الجذور، ثابتة الجذوع، منتصبة الساق ، تقاوم الريح ، تلويها ولكنها لا تُكسّرها. وإما أن تكون جذورها قريبة من السطح، يجتثها أدنى سبب. وكذلك الإنسان ، إما أن تكون له هوية تميزه، ويكون له انتساب يُعضّده، وعشيرة يحتمي بها ، وإلا تناوشته الكلاب، وأضلّته الشياطين. وقد رامت فرنسا بكل جهدها طمس هوية الجزائرين، وجرّ أذيال النسيان على انتمائهم العربي الإسلامي ، وزعمت أن أجدادهم هم الغاليين. لكن خاب ظنُّها ، وجرى لها الفألُ نحسا يوم أن تصدّى رجال الجزائر لهذا المكر، وإن كان مكرها لتزول منه الجبال. ثم سُقط في أيديها يوم تأسيس جمعية العلماء، التي نذرت لله والوطن أن تبقى الجزائر عربية مسلمة. وقد توّج المجاهدون هذا الكفاح المرير بأغنية يا محمد مبروك عليك ..الجزاير رجعت ليك.

ومع ذلك يخرج علينا رئيس فرنسا الحالي ،مُجترّا دعاوى أسلافه ، زاعما أن الأمة الجزائرية لم تكن موجودة يوم استعمار فرنسا لهذا القطر المسمى الجزائر. فما كان من أحفاد البشير الإبراهيمي و مصطفى بن بوالعيد إلا أن ألقموه حجرا لا زال يتجرّعه، ولا يكاد يسيغه. وهذا ما يمارسه الإستيطان الصهيوني اليوم في بيت المقدس، والأرض المباركة، من خلال تزوير حقائق التاريخ ، وتغيير معالم الجغرافيا. ليسهل له اقتلاع الشعب الفلسطيني من أرضة، مثلما يقتلع زيتونه.

إدراكا من الشيخ البشير الإبراهيمي لقيمة الأصالة ، وقوة الإنتماء الوطني والقومي ، فهو يتمثّل الشباب الجزائري **بانيا للوطنية على خمس ، كما بنى الدين قبلها على خمس**(33).فهو بشبّه الوطنية بالدين في افتقارها إلى أركانها الأساسية، التي لولاها لكانت والعدم سواء .لذلك فهو يدعو الشباب إلى بناء الوطنية واقعا ملموسا، لا أن يتخذوها شعارا ومُسوحا. وهو إذ يرتفع بالوطنية إلى هذا المدى السامق، فليبرز القيمة الجمالية لقوة الإنتماء ، وأصالة الهوية، التي تجعل المتمسك بها منسجما مع ذاته ومجتمعه، متساوقا مع تاريخه إن وطنية الشيخ البشير الإبراهيمي مخلصة لعقيدته ومبادئه، ولإيمانه الصادق بالإسلام دينا، وباللغة العربية لغة، وبالجزائر وطنا.(34) وهو منهاج جمعية العلماء، وبرنامجها العملي. وكما كان الدين مقدّسا ، كان الوطن عنده كذلك، يستحق الفداء بالوقت والجهد ، بل بمُهج الشباب وأرواحهم . وذلك **إذا امتدّت الأيدي لوطنه بالتخوُّن، واستطالت الألسنة على دينه بالزراية، والتنقّص،**

وتهافتت الأفهام على تاريخه بالقلب والتزوير، وتسابق الغرباء إلى كرائمه باللص والتدمير، ثار وفار، وجاء بالبرق والرعد،والعاصفة والصاعقة. (35).

إن الإبراهيمي يحب من الشباب الوداعة والسكينة والتجاوزعن المُخطئ، وعدم حمل الأحقاد والضغائن، لكن عندما يتعلق الأمر بالمقدس أن يُدنّس، أو الحرم أن يُنتهك، أوالكنز أن ينهبه اللصوص، وقُطاع الطرق، وشُذّاذ الآفاق ، فيجب على الشباب أن يتحول إلى كتلة من اللهب المقدّس ،لإحراق المعتدين، وذرّ رمادهم في الشعاب. إنّ الوداعة قيمة أخلاقية جمالية، وإن القوة والحزم والحسم قيمةأخلاقية وجمالية أخرى. وإن حسن توظيف هاتين القيمتين ، ووضعهما في موضعهما المناسب،في الظرف المناسب قيمة جمالية أخرى.

لا يقلّ احتفال الإبراهيمي بالعروبة عن احتفاله بالوطنية، تصديقا لعقيدة صديقه من قبله، عبد الحميد بن باديس حين أعلن، فإذا هلكت فصيحتي تحيا الجزائر والعرب . لذلك كان الإبراهيمي يتمثل الشباب الجزائري مطلولا بأنداء العروبة، مُجتلى للخلال العربية . وكما نذر نفسه لخدمة الجزائر ، فكذلك لخدمة كل الأقطار العربية، وفي القلب منها فلسطين، الشاهدة على العرب والمسلمين. لذلك يمكن القول إن العمل القومي الإبراهيمي كان مُزدوجا، حيث عمل على توعية الجزائريين داخليا بانتمائهم إلى وطنهم الواسع، وشخصيتهم القومية العربية الإسلامية، من جهة ..ومن جهة أخرى كان يوقظ في العرب قوميتهم تُجاه الجزائر.(36)

لا شكّ أن تقوية الإنتماء، وتمتين الإنتساب ،يرفع من قيمة الإنسان ويُكسبه قُوّة، ويُجمّله في النوادي، ويزيّنه بين العالمين. ففرق بين أن تكون مُؤصّلا مُعتّقا، وبين أن تكون حدثا طارئا، أو ربما نكرة.

7- قيمة العمر: مع أن الإنسان بخيل بما عنده، ضنين بما يحوز، إلا أنه يزهد في أغلى ما يملك، وهو العمر. وقد قيل في العُمُر كثير من الأمثال ، لتبيان أهميته في حياة الإنسان، وضرورة المحافظة عليه، ولعل الوقت هو الحياة، أجمع ما قيل فيه. لكن أنّى للإنسان أن يحافظ عليه ، وهو لا يعرف قيمته . وأنفس الأعمار، أعمار الشباب، لأنهم مكتنزون صحّة، موفورون عقلا، متّسعون خيالا، متّقدون حماسة. ومع ذلك فالشباب أكثر إضاعة للوقت، من غيرهم ، خاصة في وقتنا الراهن، لما تتيحه وسائل الترفيه واللغو من إمكانية لهدر الطاقات. واللغو كما يشمل الأقوال يستغرق الأفعال.

حرص الشيخ البشير الإبراهيمي على تنبيه الشباب إلى هذا الكنز الذي وهبهم الله تعالى، والمنح الجليلة التي أسبغها عليهم، ووجوب استثمار ذلك فيما ينفع في الدين والدنيا، والعاجل والآجل. لأن النهضات إنما هي حسن استغلال للعمر وإدراة للزمن ، كما بيّن ذلك الفيلسوف مالك بن نبي - رحمه الله تعالى.

لو لم يكن الوقت نعمة، يُضفي على الحياة نماء وجمالا، لما كان من أوّل ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة. قبل أن يسأله الله تعالى عن أركان الإسلام، وعمودها الصلاة. فعن ابن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه ، وماذا عمل فيما علم ؟ رواه الترمذي.

فالعمر إلى جانب كونه نعمة زمانية، فهو قيمة جمالية حين يدرك صاحبه مدى الثروة التي وهبه الله تعالى، وأمره بحسن استثمارها فيما يعود عليه بالنفع في الدين والدنيا والآخرة. وليست قيمته وجماله بطول سنينه، ولكن بما يعمُرُه صاحبه من جلائل الأعمال، وحسن الفعال.

يظن كثير من الغافلين أن الشباب مرحلة للهو واللعب، وهم لا جرم مخطئون. لذلك كان على الشيخ الإبراهيمي أن يُصحّح الفهم ، ويُقوّم التصور، وينصب الميزان، ويضع المعالم للطريق حتى يؤوب الشباب، وينتبه للإنحراف الخطير، المميت للأبدان والأعمار. يقول رضي الله عنه مخاطبا الشباب :

ما قيمة الشباب ، وإن رقّت أنداؤه، وتجاوبت أصداؤه، وقُضيت أوطاره، وغلا من بين أطوار العمر مقداره، وتناغت على أفنان الأيام والليالي أطياره ، وتنفست عن مثل الربيع أزهاره، وطابت بين انتهاب اللذات واقتطاف المسرّات أصائله وأسحاره..بل ما قيمة الكهولة..بل ما قيمة المشيب..ما قيمة ذلك كله إذا لم تُنفق دقائقُه في تحصيل علم، ونصر حقيقة، ونشر لغة ، ونفع أمّة ،وخدمة وطن.؟(37)

إنه يُشرّح واقع الشباب تشريحا دقيقا، ويصفه وصفا مُذهلا ، كاشفا عن العلاّت التي تعتريه، والآفات التي تتناوشه . ثم بعد التشخيص يصف الدواء ، ويُقدّم الإرشادات والنصائح الغالية ، التي ما بُدٌّ من الأخذ بها ، وملازمتها حمية ، تعطي للبدن صحّته ، وللعمر قيمته.

إنّه وهو يُنوّه بقيمة العمر، لا يغفل عن مرحلة الكهولة ، بل حتى المشيب .لأن العمر كله نفيس، وكلما تقدّم الإنسان في السن كلما غلا سعره، لأنه لم يبق له الكثير على الرحيل، وتقديم كشف الحساب.

كيف لا يكون العمر قيمة جمالية، وهو لا يُقدّر بثمن، وكيف لا يكون كذلك، وهو يلازم صاحبه من أول أيّامه في هذه الدنيا إلى آخر لحظاته فيها. إنّه الوفاء في أجلى مظاهره، ولكن شهادة أيضا يوم الدين.

8 ـ قوّة الإيمان بالحياة: إنّ فلسفة الإسلام في الحياة هي أصدق وأوضح وأثمر وأبقى ، من غيرها من الفلسفات الشرقية والغربية. قديمها وحديثها، وما ذلك إلا لأنها مستوحاة من الشريعة الغرّاء ، مستمدّة من الوحي المعصوم. وإذا كانت أنظار الإسلاميين تختلف في تصوّرها إلى حدّ كبير، فإن ذلك سببه قصر النظر، وقصور الفهم . وإلا فإن الحضارة التي شيّدها المسلمون يوم كانوا أصحاب علم وعمل ، قد خطّت في تاريخ البشرية معالم هادية ، لا زالت آثارها إلى يوم الناس هذا.

إن الشيخ البشير الإبراهيمي، بصفته فاحصا للأوضاع الاجتماعية لأمّته، وقارئا جيّدا للتاريخ، يرى أن من أسرار تأخر العرب والمسلمين، ضعف الدين في نفوسهم، وإهمال الحياة بكل أبعادها الإيجابية ، خاصة بعد تغلغل الفهم الصوفي المنحرف، وما نتج عنه من سلبية وتواكل ،بدعوى التّديّن. وما هو في الحقيقة إلا خداع نفس، وسراب يحسبه الظمآن ماء. لذلك فهو يدعو الشباب إلى تصحيح هذا الوضع المُضطرب، وتقويم هذا الفهم السقيم. والعناية بالحياة التي سبقنا إليها وفيها الغرب بأشواط. بل إنه ليدعوه إلى الإيمان بالحياة ، مثلما يؤمن بأركان عقيدته ، وأن يكون إيمانه بها قويّا تماما، مثل قوة إيمانه بدينه. لأن ذلك وحده كفيل بتغيير المفاهيم، واستنهاض الهمم، وإحداث النهضة. وليس ذلك إلا حين يكون الشباب **قوي الإيمان بالحياة، صحيح النظر في حقائقها ، ثابت العزيمة في المزاحمة عليها، ذلق اللسان في المطالبة بها، ناهض الحجّة في الخصومة لأجلها، يأبى أن يكون حظه منها الأخسّ الأوكس، آمن بعقله وفكره أن يُضلّل في الحياة، كما آمن بهما أن يُضلّل في الدين.**(38).إنه يرتفع بقيمة الحياة ليجعلها كأنّها عقيدة من العقائد التي يجب الإيمان بها .وذلك ما يكسبها جمالا يرغّب الزاهدين فيها على الإقبال عليها ، إقبال استثمار نافع خدمة للدين والدنيا معا.

إن الألفاظ التي يختارها الإبراهيمي ليكون لهذه الدعوة صدى وأثر، ألفاظ قوية معبرة، ذات معان واسعة، وهو لا يسوقها في أسلوب وعظي ، سرعان ما يزول تأثيره. بل يصوغها بطريقة تحليلية علمية، وكأنه أستاذ اقتصاد ، أومستشرف خبيرا، حتى يبقى مفعولها جديدا وقويا ، ما بقيت كلماته في رقّ منشور.

إن الصراعات والحروب والإضطرابات التي يشهدها العالم ، إنما سببها وهدفها السيطرة على المُقدّرات والثروات، والتحكم في أسباب القوة، بمختلف تمظهراتها. وإن القوى العظمى لا تبالي أن تُفني ملايين من البشر في سبيل أن تبقى أسباب القوة في يدها، وتحت سيطرتها. ولا مندوحة للعرب والمسلمين من مزاحمة هذه القوى، ليكون لها مكان تحت الشمس، تعبد ربها ، وتُنشئ نهضتها، كما أنشأتها من قبل، يوم كانت هي العالم الأول ، وغيرها العالم الثالث. وليس ذلك إلا بالإيمان بقيمة الحياة وقدسيتها.

وقد وجدنا الإبراهيمي يُثني على الجهود المحمودة للأزهر الشريف، في سعيه لتطوير مناهجه التعليمية ، حتى تستجيب لضرورات الحياة، كيلا يبقى المسلمون عالة على غيرهم في متطلبات المدنية، خلافا لكثير من العلماء التقليديين ، الذين نعوا على الأزهر تلك الخُطّة. يقول رحمه الله: **ولست أُنكر على الأزهر أن يُجاري الأحياء في الحياة، وأن يُزاحم عليها، بل أرى من الواجب عليه أن يزاوج بين علوم الدين وعلوم الدنيا، وأن يهيّئ أبناءه ليكونوا عقبان جوّ، وسباع دوّ، وأن يكونوا أحلاف حرب ، وأحلاس محاريب.**(39)

وهنا لنا وقفتان مع هذا الجمال، الذي يشعّ من هذه العبارات القصيرات المقصورات في أحقاق الشيخ البشير. فقد سمّى الشعوب المتقدمة بالأحياء، وكأنه يلمز غيرهم بأنهم أموات، وهذه حقيقة مُرّة ، فحين تضطرّ إلى مدّ يدك لعدوّك ، ليناولك الغذاء والدواء والكساء ، فأنت أشبه بالمُحتضر، إن لم تكن ميتا أصلا. وأما الثانية فهي فهي مُستمدّة من فلسفة الإسلام في الحياة، ألا وهي الربط بين العمل للدنيا والعمل للآخرة ، من دون تنافر ولا تضادّ. فكما نُعدُّ الشباب ليكونوا أحلاف حرب ، نُعدُّهم معه ليكونوا أحلاس محاريب، تماما كجند صلاح الدين الأيوبي ، الذين فتح بهم بيت المقدس مرّة أخرى، وطهّرها من رجس الصليبيين. **ومُحال أن تنهض أمة بغير خصائصها، أو تقوم بغير مقوماتها ، فإن نهضت بغير ذلك فتلك نهضة مزوّرة ، ..أو هي تجنُّس فكري سُمّي نهضة**(40)

إنك إمّا تُقبل على الحياة، في ظلال التوحيد فتنعم، وإما تُناكفها، أو تستورد الفكر المُعلّب فتشقى.

ما أجمل الحياة بهذا الفهم، وما أطيبها بهذا التعاطي، وما أخصبها بهذا المعنى.، فإن لم يصبها وابل فطل.

9 ــ النديّة: كثيرا ما يتسرب اليأس والقنوط إلى نفوس الشباب، بسب الأوضاع المُزرية التي يعيشها، والظروف الصعبة التي يمرّ بها وطنه وأُمّته . حتى إذا طلبت منه أن يعمل بجدّ ليستدرك تخلُّفه، وليلحق بركب الشعوب المتقدمة ، سخر منك، ومن نفسه. لاعتقاده أنه عاجز، وأن الشعوب المتخلفة حظها كذلك، وأن نصيبها لا يمكن أن يتغير. وهي إحدى الذهنيات التي عالجها مالك بن نبي رحمه الله في مشكلات الحضارة. وكأن الحضارة قدر الأمم المتغلبة، اليوم وغدا. والحقيقة أنه وهم صيّرناه قناعة فكرية ونفسية، حتى غدا كأنه أحد قوانين علم العمران البشري. ومن قبلُ وضع لنا النبي صلى الله عليه وسلم قاعدة ذهبية ، هي بمثابة دستور حياة للمسلم. فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:(الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ علَى ما يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللهِ وَلَا تَعْجِزْ، وإنْ أَصَابَكَ شَيءٌ، فلا تَقُلْ: لو أَنِّي فَعَلْتُ كانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَما شَاءَ فَعَلَ؛ فإنَّ (لو) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) رواه مسلم.

إن النّديّة شرط أساس لأي تغيير نحو الأفضل، وهي في أبسط دلالاتها تعني أن الآخرين ليسوا أفضل مني من حيث الأصل، وإن كانوا أفضل مني في الواقع المعيش. لكن ذلك ليس حتمية تاريخية ، بل هو عامل متغيّر بشروطه. وأول شروطه الإيمان بالذات، وأنها مُستودع الطاقات، ومُنطلق الإنجازات. ثم ما يستتبع ذلك من وضع الأهداف، ورسم الخطط. وهذا ما يضفي على الشعور بالندية قيمة وجمالا. قيمة لأنك تعتبر نفسك مثل الآخرين وليس دونهم. وجمالا لأنها تُمكّنك من منافسة الأقوياء، وربما صرت أقوى منهم وأنجح. ولنا في الدول المنهزمة في الحرب العالمية خير مثال في الإستدراك والتفوق.. لذلك فالشيخ البشير الإبراهيمي يتمثل الشباب الجزائري ندّا لنظرائه، طموحا لتغيير واقعه، وهو ما أشرنا إليه في القيمة الأولى السالفة، المتعلقة بالهمّة العالية. يتمثله **مصاولا لخصومه بالحجاج والإقناع،لا باللّجاج والإقذاع، مُرهبا لأعدائه بالأعمال لا بالأقوال**(42).

إنّ جمال ما في هذه الخصلة، وقيمة هذه الميزة ، أنها تجعل الشباب يشعر بأنه قوي ، وأنه رقم صعب في معادلة الحضارة، والصراع العالمي، الذي تخطط له الدول الكبرى بكل مكر، تكاد تخرُّ له الجبال

هدّا. ومع ذلك فإن الضعيف إذا أخذ بزمام المبادرة فإنّه سوف يُحدث الفرق، بنتيجة غير متوقّعة.
وبالأمس خاض شباب الجزائر– الضعاف إلا من قوة إيمانهم بنصرالله ، وإيمانهم بعدالة قضيتهم، وقُدسية جهادهم – حربا كبرى تُوّجت بالنصر المظفّر، وكانت نبراسا للشعوب المُستعبدة. واليوم يخوض شباب الأقصى وغزّة حربا مقدسة ،زلزلوا بها الكيان الصهيوني ، ومن معه من ّالقوى العالمية العتيدة ، وأفشلوا مخططاتهم الرهيبة ، ضد المنطقة برمّتها.

إن البشير الإبراهيمي ،وهو يُحرّض الشباب الجزائري على نفض غبار الكسل، واطّراح ثوب الشعور بالدونية، ليعلم أن للشباب من الإمكانات والقدرات، ما يستطيع به تغيير الحال إلى أفضل، بل سيكون ندّا لأعدائه في كل ميادين الإنجاز و الإبتكار .

خاتمة

لقد وقفنا في هذه الجولة الفكرية ، على أبرز القيم الجمالية لهذا الدرس التربوي القيّم ، وكشفنا عن بعض ما يكتنزه من قيم الجمال ، وبيّنّا مدى واقعيتها ، وصدقها ، وقوتها ، وخلودها. وأنها قيم تستهدف بناء الإنسان النموذج، وبالفعل خرج المارد من قمقمه، وخاض حرب التحرير، التي اقتلعت الإستعمار، في انتظار أن يخرج مرة ليخوض حرب التعمير، ليحقق حلمه ، وحلم والشهداء ، والوطنيين الأحرار.

هذا ما تسنّى لنا الوقوف عليه من القيم الجمالية التي حفل بها المقال الخالد **الشباب الجزائري كما تمثّله لي الخواطر** للبشير الإبراهيمي ، صاحب القريحة المبدعة ، والقلب الذكي ، والعاطفة الدافقة، والقلم الرصاص. وهذا الجهد يتناسب مع هذه المناسبة ، وإلا لو اتسع المجال لاستخرجنا من أعماقه دفائن الكنوز. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله.

الهوامش

1 ـ ويكبيديا، الموسوعة الحرة،2024/3/24 ،الساعة08

2 ـ البشير الإبراهيمي جاحظ عصره وبديع زمانه، على محمدالصلابي www.algazeera.net 24 /2024/3 ،الساعة08

3 ـ آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط1،1997 ، ج3 ، ص512،511 بتصرف

4 ـ المصدر نفسه ،ص 514

5 ـ المصدر نفسه ،ص516 بتصرف

6 ـ المصدر نفسه ،ص273

7 ـ المصدر نفسه ،ص414 بتصرف

8 ـ الشيخ البشير الإبراهيمي إمام في مدرسة الأئمة، محمد عمارة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ص18

9 ـ الشيخ البشير الإبراهيمي ودوره الإصلاحي، هوارية الحاج علي، مجلة روافد،مج6،عدد خاص،2022،ص445

10 ـ ملامح التجريب في أدب الإبراهيمي، زهيرة بولفوس، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الإخوة منتوري،قسنطينة ع48، مجلد ب، ديسمبر2017، ص175

11 ـ خصائص المقال عند العلامة محمد البشير الإبراهيمي ومضامينه، سهى حيمور، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة البشير الإبراهيمي، مج 03،ع01، جانفي2022 ،ص254

12ـ آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ص583

13ـ المصدر نفسه،ص511

14ـ المصدر نفسه،ص511

15ـ ملامح التجريب في أدب الإبراهيمي ،مرجع سابق، ص176

16ـ البشير الإبراهيمي جاحظ عصره وبديع زمانه،علي محمد الصلابي، www.algazeera.net1 2018/9/20بدون ترقيم

17ـ المصدر السابق، ص516

18ـ المصدر نفسه،ص155 بتصرف

19ـ المصدر نفسه،ص511

20ـ خصائص المقال عند العلامة محمد البشير الإبراهيمي ومضامينه،مرجع سابق،ص254

21ـ المصدر السابق، ص514

22ـ المصدر نفسه،ص513

23ـ صورة الشباب الجزائري في فكر محمد البشير الإبراهيمي، عادل بودبار، مركز ضياء للمؤتمرات والأبحاث ،ص3، 27 /2024/3،سا8،

24ـ المصدر السابق، ص509

25ـ المصدر نفسه،ص509

26ـ مستويات العدول في خطبة الشباب الحزائري للبشير الإبراهيمي، نسيم جراد، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، قسم اللغو والأدب العربي، جامعة عبد الرحمن ميرة ، بجاية،ع45، ص109

27ـ المصدر السابق، ص509

28 ـ صورة الشباب الجزائري في فكر محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ص 05

29ـ آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق،510

30ـ أسس الإصلاح الديني عند البشير الإبراهيمي، مراد بوعباش ،مجلة قضايا تاريخية،مج4،ع1، جوان2019، ص70

31ـ آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج4،ص222

32ـ المصدرنفسه،ج3،ص517

33ـ المصدر نفسه،الصفحة نفسها

34ـ مسألة الوطنية في فكر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، بن حامد سعدية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج10، ع2 ، 2021، ص466

35ـ المصدر السابق، ص514

36نداء القومية وإشكالية العروبة في آثار محمد البشير الإبراهيمي، لويزة حوفاف، مجلة المخبر،أبحاث في اللغةوالأدب الجزائري، جامعة بسكرة،ع12، 2016، ص291

37ـ المصدر السابق،ص 512،513 بتصرف

38ـ المصدر نفسه، ص511

39ـ المصدرنفسه، ص502

40ـ المصدرنفسه، ص501

41 ـ المصدر نفسه، ص517